



المركز السوري القومي للأبحاث
National Syrian for Research

تأثير حضارة الهلال الخصيب في الحضارة الأوروبية

2/1

إليسا ر سيمون حاجوج

2018

تأثير حضارة الهلال الخصيب في الحضارة الأوروبية

ملخص

طُرِحَت الحضارة الإغريقية طيلة قرون عديدة على أنها طفرة وإعجاز حضاري لم يسبق له مثيل، حيث تاه الكثير من القراء والباحثين في متاهات المؤرخين والفلاسفة الغربيين الذين قادتهم أهواؤهم إلى الابتعاد عن الموضوعية في معالجة ما يقدمونه من أبحاث، وإغفال ما كانت عليه حضارة الهلال الخصيب منذ آلاف السنين وما قدمته للحضارة الإنسانية، هذه المنطقة التي تمتعت بمميزات أهلتها لاحتضان أولى الحضارات التي عرفها العالم، وتوالت هذه الحضارات فيها دون انقطاع، وباتت رقعة حضارية واحدة ذات وحدة ثقافية تتميز بالانسجام والتكامل.

ومن الهلال الخصيب انتقلت المعارف والاختراعات إلى بلاد الإغريق بعد ألف عام على الأقل، وتجلّى التأثير في مجالات حضارية كثيرة، كالكتابة والأبجدية واللغة، الفنون الموسيقية والصناعات النسيجية والتشريع والدين وعلم الجمال وغيرها، وكانت أبرز الشخصيات الثقافية البارزة في حضارة الإغريق قد نشأت في منطقة الهلال الخصيب ونهلت من معارفها وعلومها، ثم بات التراث الإغريقي مشعل النهضة الأوروبية ذات الملامح والمعالم الموروثة من الهلال الخصيب في مسيرة الحضارة.

تنقسم هذه الدراسة إلى جزأين: يتناول الجزء الأول منطقة الهلال الخصيب، من النواحي الجغرافية والاستراتيجية والتاريخية والحضارية وأثره في الحضارة الإغريقية والأوروبية من نواحٍ عدّة، ويتمحور الجزء الثاني حول المنظومة الرمزية في الخط الفكري السوري لحضارة الهلال الخصيب، والمتشكلة من الديانات والأساطير، وتجليها في الميادين الثقافية الأوروبية، من خلال تأثيرها المباشر وغير المباشر فيها.

جدول المحتويات

3	مقدمة
5	أولاً: لمحة عن الهلال الخصيب
6	(1) الهلال الخصيب استراتيجياً وجغرافياً
10	(2) الهلال الخصيب تاريخياً وحضارياً
12	- لمحة عن حضارة الهلال الخصيب
12	- السومريون
13	- البابليون
15	- الأكاديون
16	- الكنعانيون
18	- الأموريون
	ثانياً: أثر النتاج الحضاري للهلال الخصيب في الحضارة الإغريقية
20	والأوروبية
	- المسيرة الحضارية من منطقة الهلال الخصيب إلى بلاد
22	الإغريق وأوروبا
23	- الأبجدية والكتابة واللغة
26	- الموسيقى
27	- التشريع
28	- العلوم والفلسفة
29	- تالس
30	- فيثاغورث
31	- أرسطو
31	- هيروdot
32	- الأسطورة والأدب والدين
37	المراجع

يقول فولتير* في (الأميرة البابلية):
"إن مصدر كل شيء.. هو من الشرق"

مقدمة

تميز الهلال الخصيب بتوالي حضاراته دون انقطاع منذ العصور الحجرية وحتى يومنا هذا، على عكس القارة الأوروبية التي شهدت انقطاعاً بين عصورها الحجرية و عصور الحضارات في بلاد الإغريق والرومان، إذ أن المد الجليدي لم يصل إلى أرض الهلال الخصيب بل قابله عصر الأمطار، "فبينما كانت أوروبا ترزح تحت طبقات الجليد كان إنسان الشرق الأدنى يتابع مسيرته الحضارية"¹.

ولهذا، فإن توالي حضارات الهلال الخصيب دون انقطاع، والتفاعل الديموغرافي والاجتماعي بين أرومات المنطقة كالسومرية والأكادية والبابلية وما تلاها، جعل من هذه المنطقة رقعة حضارية واحدة، ذات وحدة ثقافية تتميز بالانسجام والتكامل، فكانت منطقة الهلال الخصيب البؤرة الحضارية الأولى وأقدم حضارة عرفها الإنسان، إذ أن "السومريون يبدأون الحضارة التاريخية"² فيها.

غير أنّ نظرة البعض في الغرب إلى الإنجاز التاريخي والحضاري في الهلال الخصيب تثير الريبة والاستغراب، فهي غالباً ما تنطوي على الكثير من الإبهام وإغفال الحقائق والتغطية عليها، فهذا الإنجاز التاريخي "لا يروق لبعض المدارس الغربية وعلى رأسها المدرسة التوراتية"³، فهي هو باحث الآثار الفرنسي (فيليب كوني) يلقي محاضرة بعنوان: "ولادة المدن في شمال سوريا في الألف الثالث قبل الميلاد" في المركز الثقافي الفرنسي في دمشق بتاريخ 2004/2/24، وهو المندوب من قبل المعهد الفرنسي للشرق الأوسط إلى مواقع العصر البرونزي القديم في شمال بلاد الرافدين، حيث كانت الغاية من هذه المحاضرة هي نفي وجود اتصال بين العراق القديم وسوريا

* فرانسوا ماري أرويه (François- Marie Arouet) المعروف باسم فولتير (Voltaire)، (1694،1778)، مؤلف وكاتب فرنسي متوغل في ميادين الفكر والثقافة، ومولفاته تبلغ عدداً يربو على (260) مؤلفاً، منها مسرحية (الأميرة البابلية).

¹ بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، (1989)، الجزء 1، القسم 1، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ص35

² المرجع السابق، ص69.

³ Luckenbill.D.D: Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926 (ARAB1:553)

القديمة، بحدودهما الحالية، والباحث كوني ليس الوحيد العامل بهذه الأفكار الموضوعة في أطر استعمارية.

إن وحدة الهلال الخصيب القديمة والمعززة بعوامل جغرافية وبشرية ومسيرة تاريخ مشترك، واجهت عبر المراحل التاريخية جحافل جيوش الاستعمار، الصليبي، المغولي، العثماني، البريطاني، الفرنسي، الإسرائيلي والأمريكي مؤخراً. وما يزال هذا الاستعمار يحاول النيل من هذه الوحدة من خلال العبث بتاريخ المنطقة من قبل باحثين تورانيين ومؤرخين يهود، إذ إن المجالات اليهودية منتشرة في كل مركز بحث في العالم، بهدف تشويه التاريخ لإقحام (دولة إسرائيل) في المنطقة، ومثالها مجلة "دراسات الشرق الأدنى" NEAR EASTERN STUDIES ومجلة "الآثاري التوراتي" BIBLICAL ARCHEOLOGIST والممولة من مؤسسة الأبحاث الصهيونية.

وعند أي اكتشاف في مواقع الهلال الخصيب الأثرية يسارع التوراتيون لمطابقته مع روايات التوراة بالتحايل والمغالطة وتضليل القراء والدارسين، والربط القسري لمعطيات الاكتشاف بمعطيات التوراة، حيث أقام معهد العالم العربي في باريس عام 2001 معرضاً بعنوان "زنوبيا" وجاء فيه أن الملكة زنوبيا من أصل يوناني- سلوقي، وديانتها هي اليهودية بينما "كانت الملكة زنوبيا تعتنق ديانة تدمرية .. محلية"¹

ولأن الأوروبيين اعتادوا أن ينسبوا كل شيء إلى الإغريق القدامى، وجب ذكر الحقائق التاريخية المؤكدة أن الفضل في "خروج أوروبا من ظلامها وتخليها في عصورها الوسطى... وما عرفته تلك القارة من تحرر فكري وتقديم علمي في عصر النهضة"² يُنسب إلى حضارة الهلال الخصيب.

¹ الأسعد، خالد، أوفه، فيين، هانس، يدبرغ، زنوبيا ملكة تدمر والشرق، (2006)، جامعة أورهون، الدنمارك.
² المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، (1990)، مصطفى طلاس، ط1، المجلد1، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ص 45.

أولاً: لمحة عن الهلال الخصيب

منطقة الهلال الخصيب هي "البقعة المركزية في قلب العالم القديم"¹، وتقع شرقي البحر المتوسط، وهي تسمية جغرافية تُطلق على حوض نهري دجلة والفرات، وبلاد الشام، وهي منطقة لها شكل (هلال)، ترسم حدودها كل من الجبال والبحار والصحراء. فالجبال تكوّن قوساً طبيعياً يحيط بها من الشمال الغربي (جبال طوروس) إلى الشمال الشرقي (جبال زغروس)، بينما يشكل قوس الصحراء العربية حدها الجنوبي، والخليج العربي في جنوبها الشرقي، وخليج السويس في البحر الأحمر في جنوبها الغربي بما فيه شبه جزيرة سيناء، أما حدها الغربي فيتمثل بالبحر المتوسط (بحر أمورو) شاملاً جزيرة قبرص.

و يضم الهلال الخصيب دول: سوريا، العراق، لبنان، الأردن، فلسطين، قبرص، منطقتي كيليكياء ولواء اسكندرون في جنوب تركيا الحالية، ومنطقة الأحواز غرب إيران، وشبه جزيرة سيناء.

وقد أطلق عليها جيمس هنري بريستد James Henry Breasted (1865-1935)*، مصطلح (الهلال الخصيب) عام 1916م، لشدة خصوبة أراضيها، و"أثنى كثير من الباحثين على هذه التسمية وأخذ بها"²، لكن "التسمية هذه تعود إلى العرب، حيث سموها نسبة إلى شكلها الذي يشبه الهلال، ولشدة خصوبتها"³.

*جيمس هنري بريستد James Henry Breasted (1865-1935)، عالم آثار ومؤرخ أميركي، من أشهر علماء الآثار والمصريات، ولد في روكفورد في ولاية إلينوي، حصل على شهادة الدكتوراه عام 1894، له بعثات تنقيبية ومسح أبيضرافي في العراق وبلاد الأناضول ووادي النيل وغيرها.

1 الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، مابين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، (1999)، الطبعة 1، بيسان للنشر والتوزيع، دمشق، ص17

2 هنري بريستد، جيمس، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق الأدنى القديم، (1966)، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص151.

3 حجل، بدري، شواهد على نشوء الأمة السورية، (2003)، الطبعة 1، منشورات دار فكر، بيروت، ص14.

1) الهلال الخصيب استراتيجياً وجغرافياً

تتمتع منطقة الهلال الخصيب بمميزات أهلتها لتكون صالحة للاستقرار البشري منذ عصور ما قبل التاريخ الجلي، فكانت "منبت أقدم الحضارات البشرية"¹ حيث تفاعلت فيها عدة سلالات بشرية، تمازجت فيما بينها، وتفاعلت مع بيئتها الطبيعية، فشكّلت حضارت مميزة، كانت بمثابة الجذور التاريخية للحضارة الإنسانية والإشعاع الأول لحضارات العالم لاحقاً، وحيث أن منطقة الهلال الخصيب تحتل موقِعاً متوسطاً بالنسبة للقارات الثلاث، آسيا، أوروبا وإفريقيا، فقد أهلها هذا الموقع الممتاز لأن تكون ملتقى الطرق التجارية منذ القدم، حيث يؤكد علماء الجغرافيا الاجتماعية والسياسية (الجيوپوليتيك) أن "الطريق هي التي تصنع التاريخ، فالطريق صنعت المدينة والمدينة بدورها صنعت الحضارة".²

إن أهمية الموقع الاستراتيجي للهلال الخصيب تكاد تحظى بإجماع عالمي، فها هي لجنة (كينغ-كرين) King-Crane الأمريكية، تورد في تقريرها صيف عام 1919م، ما يؤكد أهمية هذه المنطقة استراتيجياً وحضارياً لاحتلالها موقِعاً متوسطاً استراتيجياً بالنسبة للقارات، آسيا، إفريقيا، وأوروبا، حيث وَرَدَ في التقرير: "لما كانت سورية جزءاً من رأس الجسر، الذي يربط بين أوروبا وآسيا وإفريقيا، حيث يلتقي الشرق والغرب بصورة فريدة، فإن موقعها ذو أهمية استراتيجية، وسياسية وتجارية، كما أن له أهمية من زاوية الحضارة العالمية"³.

حيث تمتد منطقة الهلال الخصيب في بيئة طبيعية ذات حدود جغرافية واضحة، تميزها عن البلاد المجاورة لها، ففي شمالها يرتفع القوس الجبلي لسلسلة جبال طوروس المتلاقية في شمالها الشرقي مع سلسلة جبال زغروس (البختياري)، وتطل في غربها على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتحدها في شرقها الهضبة الإيرانية، أما حدّها الجنوبي فهو قوس الصحراء العربية الذي يلامس طرفه الغربي خليج العقبة على البحر الأحمر، شاملاً شبه جزيرة سيناء، وينتهي طرفه الشرقي على الخليج العربي، شاملاً منطقة الأحواز شرقي هذا الخليج. هذه الحدود الطبيعية حصرت فيما بينها بقعة خصيبة، ذات تنوع بيئي وجغرافي كبيرين، حيث أعطتها شكل (هلال)، ومن هنا جاءت تسمية هذه البلاد بالهلال الخصيب.

¹ الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، مرجع ذكر سابقاً، ص 17

² المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مرجع ذكر سابقاً، ص 25.

³ المرجع السابق، ص 24.

غير أن الحواجز الطبيعية الكبرى كالجبال والصحراء والبحار، التي شكلت حدوداً طبيعية واضحة للهِلال الخصيب ميزته عما يجاوره، لم تكن تؤدي إلى عزل تام، فقد وقَّرت الممرات البرية، عبر البوابات الكيليكية وممر سيناء الساحلي، والساحل الشرقي للخليج العربي، سبل الاتصال مع البلاد المجاورة وقيام تواصل حضاري كان له الأثر الواضح أخذاً وعطاءً، وحتى الحاجز البحري لم يقف عائقاً دون انطلاق الكنعانيين إلى الأفاق البعيدة للبحر، إذ أصبح مسرحاً لنشاطهم التجاري والثقافي الكبير. وفي المنطقة الوسطى من بلاد الشام، انطلق النشاط التجاري للآراميين، حيث غدت اللغة الآرامية لغة عالمية حملت معها الفكر السوري إلى البلاد المجاورة شرقاً.

ومن جانب آخر فإن الموقع الاستراتيجي الممتاز لمنطقة الهلال الخصيب قد أهلها منذ القدم لأن تكون ملتقى الطرق التجارية التي ترفد الطريق الدولي العظيم (طريق الحرير)، الذي شكل عاملاً هاماً في تكوين تاريخ المنطقة، فلهذا الطريق عدة مداخل تصب جميعها في منطقة الهلال الخصيب ليمتد منها، عبر الشواطئ الشرقية للخليج العربي، إلى بلاد فارس فشمال الهند وصولاً إلى الصين وشرق آسيا، أما روافد طريق الحرير فهي الطرق الفرعية التي تتلاقى في منطقة الهلال الخصيب فيمكن تتبعها من دلتا النيل، وسواحل سيناء في الجنوب، إلى سواحل البحر الأحمر فشبه الجزيرة العربية واليمن، ومن الشمال يمكن تتبع هذه الطرق الدولية اعتباراً من البوابات الكيليكية التي تتصل بتفرعات الطرق الداخلية، ومن الغرب هناك طريق البحر والموانئ المتصلة بالعالم الأوروبي.

أما الطرق الداخلية في الهلال الخصيب والتي كان لها أثراً كبيراً في التفاعل الاجتماعي الداخلي، فهي الطريق الساحلية، التي تربط بين المدن الساحلية كافة، من سيناء حتى جبال طوروس، ومن الكرمل في فلسطين حيث تتفرع الطريق نحو الداخل وتعبر نهر الأردن إلى دمشق وتستمر عبر تدمر إلى الشرق لترتبط جناحي الهلال الخصيب، بلاد الشام وبلاد الرافدين. وتتفرع الطريق من دمشق غرباً إلى الزبداني، ثم شمالاً إلى العاصي وقادش حتى أقصى الشمال بطريق الممرات الجبلية في جبل الأمانوس ثم تتفرع إلى البوابات الكيليكية حتى آسيا الصغرى، ثم تتحول الطريق إلى الشرق نحو الفرات ومن هناك نحو دجلة، وجنوباً حتى الخليج العربي.

لعبت البيئة الطبيعية الغنية للهلال الخصيب دور الحاضن المناسب لترعرع الحضارة، نتيجة توفر كل الشروط الملائمة للاستقرار البشري، من أرض خصبة ومناخ معتدل وتضاريس متنوعة، ومياه وفيرة، مما يسر قيام زراعة ناشطة وتفاعل اجتماعي داخلي في دورة حياتية كاملة.

وقد نتج عن التنوع الطبيعي في بيئة الهلال الخصيب غنى بالنباتات الطبيعية، كالأشجار دائمة الخضرة والأشجار ذات الخضرة الموسمية والغابات، وكذلك المراعي الوفيرة التي احتضنت الأغنام والماعز، والخيول التي انتشرت في الهلال الخصيب قبل الميلاد بنحو ألفي عام، وهذا ما يؤكد فيليب حتي بقوله "ومن سورية انتقل قبل العصر الميلادي إلى بلاد العرب حيث احتفظ أكثر من أي مكان آخر بنقاوة دمه"¹.

وكذلك تتوفر الجمال (الإبل)، حيث نجد أقدم رسوم معروفة للجمال ترجع إلى العصور الحجرية، والتي اكتشفت حديثاً في كلوة في شرقي الأردن، وتل حلف، وهذا دليل على تدجين الجمال منذ تلك العصور. وأيضاً البقر والكلاب والقطط والضباع، والذئب وابن أوى والظبي والوعل والغزال والمهاة والنعامة والأفاعي والسحالي والنسور والبواشق والحجل والقطا واليوم، أما الأسود والفهود فقد زالت حيث كانت معروفة حتى الغزو الصليبي، وتدلنا عليها استثماراتها كعناصر أساسية في أساطير منطقة الهلال الخصيب. ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن الكثير من هذه الحيوانات يتصف بصفات تميزها عن غيرها من السلالات الموجودة في مناطق أخرى فيطلق عليها في علم الحيوان مصطلح سلالات سورية، كالغزال السوري والنسر السوري والضبع السوري وغيرها.

وتتميز البيئة الطبيعية في الهلال الخصيب بالتنوع والغنى الكبيرين، حيث نجد في جناحه الغربي (بلاد الشام)، اعتباراً من البحر وبتجاه الشرق، تتناوب للأراضي المرتفعة والمنخفضة بشكل يحاذي فيه بعضها بعضاً من الشمال حتى الجنوب، حيث يمكن تمييز خمس مناطق طولانية بين البحر والبادية، وهي:

1- السهل الساحلي: الممتد بطول يزيد عن ألف كيلومتر بين سيناء جنوباً وسفوح جبال طوروس في الشمال الغربي، وينقسم إلى ثلاثة أقسام متنوعة التضاريس والمناخ، فالقسم الجنوبي منه دافئ طيلة العام، والأوسط وافر المطر ويحوى رؤوس وخلجان وبقايا جزر، والقسم الشمالي يمتاز بتعاريح واسعة

¹ حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (1900)، الجزء 1، الطبعة 1، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ص 55.

2- سلسلة الجبال الغربية: وهي أعلى جبال بلاد الشام باستثناء جبال طوروس، مثالها جبال لبنان الغربية، وهي أضخم كتلة جبلية في بلاد الشام.

3- الأحواض الانهدامية: وأهمها حوض نهر الأردن، حوض الليطاني، وحوض العاصي.

4- السلسلة الشرقية والهضاب والسهول الداخلية: ومثالها هضبة معان وهضبة مادبا وعجلون وهضبة حوران البركانية وهي أوسع كتلة بركانية في بلاد الشام، وكذلك الجبال الوسطى وحوضاتها كجبل الحرمون وهو أعلى جبال السلسلة الشرقية، جبال لبنان الشرقية، جبال القلمون، وحوضه دمشق، والهضبة الشمالية الغربية.

5- البادية: وهي أوسع المناطق الداخلية مساحة، وتلتوي طبقاتها في القسم الشمالي الغربي مشكلة الجبال التدمرية، وبين تلك الجبال تتشكل حوضه تدمر الشبيهة بحوضه دمشق.

وإلى عهد قريب، كانت أشجار البطم تغطي مساحات واسعة من جبال البادية، وينمو في مساقط المطر سنوياً شجيرات الأشنان والحرمل والشيخ، وكذلك الكمأة ذات القيمة الغذائية العالية، ونجد فيها سنوياً أيضاً الخزامى والأقاحي والعرار.

أما الجناح الشرقي للهلال الخصيب (بلاد ما بين النهرين) فيشكل ملتقى للمنحدرات، حيث تنحدر الأطراف الشرقية للبادية باتجاه وادي الفرات تدريجياً، وتنحدر الجبال الشرقية المتفرعة من جبال زغروس والهضبة الإيرانية باتجاه دجلة.

والقسم الشمالي منها حتى بغداد (منطقة الجزيرة) فهي أراضٍ متموجة تتعاقب فيها التلال والأودية، أما القسم الجنوبي (السواد) أي سهل شنعار قديماً، فهو يمتد من بغداد حتى الخليج العربي، وتلتقي في نهايته مياه النهرين (دجلة والفرات)، وتنتشر في هذا القسم الأغوار والمستنقعات، أما إقليم الأحواز فيشكل امتداداً طبيعياً للمنطقة الدلتاوية في الجنوب الشرقي.

وعليه، فإن البيئة الطبيعية للهلال الخصيب كانت بمثابة الحاضن المناسب لترعرع الحضارات فيه، نتيجة توفر كل الشروط الملائمة للاستقرار البشري، من أرض خصبة ومناخ معتدل ومياه وفيرة، مما يسر قيام زراعة ناشطة، وتواصل وتفاعل اجتماعي داخلي في دورة حياتية كاملة.

خلاصة القول هي أن البيئة الطبيعية الغنية ذات التضاريس المتنوعة في الهلال الخصيب، وموقعه الاستراتيجي الممتاز الذي يشكل صلة وصل بين القارات الثلاث، إضافة إلى الطريق الدولي العظيم (طريق الحرير) الذي نشأ عن هذا الموقع، جميعها تشكل ما يمكن تسميته **بالعامل الجغرافي** الذي وفر الأرضية المناسبة لنشوء الحضارات فيه، يضاف إليه عامل آخر هو **العامل البشري** الذي يتمثل بالمزيج البشري المتجانس لسكان منطقة الهلال الخصيب. هذين العاملين هما القاعدة الأساسية التي قامت عليها حضارات منطقة الهلال الخصيب.

(2) الهلال الخصيب تاريخياً وحضارياً

يجمع علماء الانتروبولوجيا على أن الإنسان قد خرج من مجتمع الحيوان فعلياً في مطلع عصر البليستوسين الأعلى PLESTOCENE TOP (10,000 – 100,000) ق.م. وأخذ في إدراك إمكانات بيئته الطبيعية وتنظيم جهوده لاستغلالها، ففي أواخر الألف التاسع وأوائل الألف الثامن ق.م، بنى الإنسان مستوطناته الأولى واكتشف الزراعة ودجن الماشية، وفي نهاية عصر النيوليتيك (العصر الحجري الحديث) NEOLITHIC الذي امتد بين (8500 – 4500) ق.م، ظهرت أولى المدن في تاريخ البشرية.

حيث أعقبه تحول أُطلق عليه اسم : (الثورة المدنية) Urban Revolution الذي تكونت فيه أولى المدن في وادي الرافدين الأدنى بتنظيماتها المدنية والسياسية والدينية المتطورة.

ويؤكد فراس السّواح في كتابه (لغز عشتار) اعتماداً على كتاب The rise of Civilization (شروق الحضارة) لمؤلفه كارل ريدمان: "إن علم الآثار الحديث يقرر اليوم أن الثورة النيوليتية والثورة المدنية قد حدثتا لأول مرة في تاريخ البشرية في منطقة الشرق الأدنى القديم"¹، فلقد ظهرت المدن الأولى في أرض سومر في وادي الرافدين ومنها انتقلت الثورة المدنية جنوباً إلى مصر وشرقاً نحو الهند، وفي الألف العاشر ق.م شهدت منطقة سوريا الجنوبية وتحديداً منطقة فلسطين ووادي الأردن أولى التجمعات البشرية في التاريخ الإنساني، حيث جاء في الكتاب السابق ذكْرُه للسّواح واعتماداً على كتاب The Neolithic of the Near East (العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى) لمؤلفه جيمس ميلارت: "إن أولى التجارب الزراعية قد تمت في المناطق

¹ السّواح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، (1986)، الطبعة 2، دار الغربال، دمشق، ص15.

الداخلية من سوريا على طول الشريط الممتد من جنوب حلب إلى صحراء سيناء، ويعتقد أن قصب السبق في هذا المضمار كان لموقعين رئيسيين هما موقع تل المريبط في الشمال عند شاطئ الفرات وموقع أريحا في الجنوب في وادي الأردن، وذلك نحو نهاية الألف التاسع وبداية الألف الثامن قبل الميلاد، وخلال الألفين التاليين تم انتشار الزراعة انطلاقاً من مراكزها الأولى نحو جميع الاتجاهات، فلم يأت الألف السادس قبل الميلاد حتى كانت الثورة النيوليتية قد آتت ثمارها في جميع أنحاء الشرق القديم وانطلقت منها نحو آسيا وجنوب أوروبا.¹

و حصلنا على بقايا أقدم المخلوقات البشرية، والحضارات البائدة، والإنجازات المادية حتى بدء التدوين والكتابة، أي بدء الحضارة التاريخية.

بدأ **العصر الحجري القديم** (Paleolithic Age) نحو 700 ألف عام وانتهى نحو 10,000 ق.م مع بدء الزراعة، ويقسم إلى سفلي، وسيط وعلوي، وفيه يسكن الإنسان الكهوف ويصنع أدواته من الصوان والحجر، فلقد عثر على نماذج من تلك الأدوات الحجرية في ترسبات النهر الكبير الشمالي، وحوض نهر العاصي، في منطقة الهلال الخصيب، ويعتبر موقع (اللطامنة) في شمال مدينة حماه الحالية من أهم مواقع ذلك العصر، كما "تميزت ملاجئ وادي سكفتا في يبرود بأدوات حجرية"².

وفي **العصر الحجري الوسيط** بنى الإنسان الأكواخ، وطور أدواته وشحفها كما في يبرود وشمال تدمر والمريبط في محافظة الرقة، و**العصر الحجري الأعلى** شهد أكبر تقدم ثقافي للإنسان القديم، حيث ظهر اختراع الإبرة، ولباس الجلد، وأدوات خليطة من الحجر والعظم، واستخدمت القرون والعاج.. وأقدم قطعة فحم تدل على استعمال النار تأتي من مغارة الطابون في جبل الكرمل في فلسطين، ووجدت أقدم آثار ثقافية، أدوات صوانية كالفؤوس اليدوية في موقع (بددا- بلكاين)، كركوك والسليمانية.

كما وجدت جمجمة كاملة لكلب كبير في مغارة الوادي في جبل الكرمل في فلسطين، لتكون أول دليل على تدجين الحيوانات، وأقدم خزف وجد في أريحا في طبقاتها السفلية وكذلك في الشمال السوري في جبال اللكام، لواء اسكندرون، وقرب أنطاكيا وجد الخزف مدهوناً، وكسر الخزف يمتد من أقصى الغرب إلى سامراء.

¹ المرجع السابق، ص15

² المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مرجع ذكر سابقاً، ص46.

لمحة عن حضارة الهلال الخصيب

- السومريون

نجد عند السومريين، أصول الأشياء- أوائل الأشياء، "أي أوائل المثل والأخلاق والدين والتراثيل الدينية والأساطير والقصص والملاحم. كذلك أوائل السياسة والحرب النفسية والاجتماع والفلسفة والقوانين، وأيضاً أول تشريع وأول الإصلاحات الاجتماعية، وأول برلمان وأول كتابة وأول مدرسة وأول ذكر للحرية (أمارجي) وأول أغنية حب"¹.

استوطن السومريون القرن الشرقي للهلال الخصيب، وهم أحد الأصول الداخلة في المزيج البشري لسكان الهلال الخصيب الذين كانوا منذ بدء العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي، أي أنهم "كانوا منذ أقدم الأزمنة ومن قبل العصور التاريخية"².

لقد كان لسكان بلاد سومر نزعة فذة نحو الاختراع التقني حيث ابتدعوا آلات ومهارات وأساليب مفيدة كالفخار وعجلة العربة والمحراث وصب النحاس والنقش بالحفر وأوجدوا نظاماً للكتابة على ألواح الطين، ولم تكن روعة السومريين مقتصرة على تقدمهم المادي ودهائهم التقني فحسب، وإنما تجلى أيضاً في أفكارهم وقيمهم، حيث أنهم أول من سنّ القوانين والشرائع وقد دوّنت بالخط المسماري.

ولقد أخرج المنقبون من تحت التراب عشرات الألوف من الألواح الطينية مدوّنة عليها أصناف مختلفة من الأعمال الأدبية، وتساوي الوثائق السومرية الأدبية ما يقرب من ألف سطر. يحتل الأدب السومري باعتباره نتاجاً أدبياً، منزلة عالية بين إبداعات الإنسان المتمدن، وقد ترجم الحثيون والحثيون والكنعانيون بعضاً منها إلى لغاتهم الخاصة حتى "قدماء الإغريق تأثروا تأثيراً عميقاً بالأعمال الأدبية السومرية"³.

إن السومريين هم أول من أوجد وطوّر الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية في صيغ شعرية، حيث كان الملوك والأمراء يأمرّون بارتجال قصائد أو أغنيات تمجد

¹ بشور، ودبع، الميثولوجيا السورية (أساطير آرام)، (1981)، الطبعة 1، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ص17

² المرجع السابق ص17

³ كريم، صموئيل نوح، السومريون- تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، (2012)، ترجمة: د. فيصل الوائلي، الطبعة 1، مكتبة الحضارات، بيروت، ص34.

مغامراتهم وإنجازاتهم بالعزف على القيثارة أو على آلة موسيقية أخرى: (ملحمة جلجامش) الشهيرة.

ومن الخصائص المميزة للدولة السومرية هو القانون المدون ابتداء من كتابة الوثائق القانونية كتلك التي تتعلق بالمبيعات والسندات، فالاقتصاد السومري كان اقتصاداً نشطاً، وكانت أغلبية السكان العظمى من المزارعين وأصحاب الماشية وصيادي السمك والصاغة والفخاريين.

وعن الطب السومري كانت هناك مئات من النصوص الطبية التي تستخدم أصناف الكلمات والتعبير السومرية الطبية، ويوجد لوحين طبيين سومريين أحدهما يحتوي على وصفة طبية واحدة، أما الثاني فقد دونت عليه خمسة عشرة وصفة طبية، ويعتبر أقدم وصفة صيدلانية معروفة عند الإنسان.

وفي حقل الفنون عرف السومريون ببراعتهم في النحت، وكان النحاتون السومريون مهرة جداً في حفر الصور البشرية على المسلات والألواح. ولعبت الموسيقى دوراً كبيراً في الحياة السومرية، كما أن الختم الأسطواني واحداً من أكثر إسهامات السومريين أصالة في الفنون حيث يحفر عليها نقش وصور تمثل صفوفاً من الحيوانات أو مخلوقات قصص خرافية، أما صناعة النسيج فكانت من أكبر الصناعات في البلاد وأكثرها أهمية من الناحية التجارية، فقد كانت آلاف الأطنان من الصوف تنسج سنوياً وكانت تربي قطعان كثيرة من الماعز والأغنام من أجل الحصول على الصوف.

كما طور السومريون خلال الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية تركت في العالم الحديث أثراً لا يمكن محوه.

- البابليون

وأشهر ملوكهم (حمورابي)، والذي حكم ما بين (2125-2081) ق.م، وهو الذي رفع بابل إلى مدينة من الدرجة الأولى، حيث أن حمورابي ونبوخذ نصر هما الاسمان المرتبطان أبداً بعظمة بابل.

حمورابي هو الملك السادس من السلالة الأولى التي حكمت البلاد، حيث قضى السنوات الست الأولى من حكمه في تنظيم الشؤون الداخلية المدنية والتشريعية وشؤون الأمن، وقد تابع هذه الجهود كل حياته يجمع شعباً من الأموريين والسومريين والأكاديين، ثم نشط التجارة مع الغرب السوري وحوض المتوسط، وبعدها أخذ بتحريك حملاته العسكرية، فاحتل أوروك وملغوم وسيبار وماري ونيوى وأشور وغيرها، وهكذا وحد حمورابي بلاد ما بين النهرين (بلاد بابل)، وقد تميّز حمورابي بأنه لم يجعل من نفسه إلهاً، ولا بنى لنفسه معبداً، بل جمع صفات الملك الفاتح والراعي للناس، وحامي الضعفاء، وباعث التراث الحضاري السومري والأكادي، حيث قال أفلاطون عنه: "الملك الفيلسوف، الرجل الوحيد الجدير بقيادة أمة"¹



وفي أواخر عهده، بنى لنفسه نصباً في بابل، يمثله وهو يتسلم شعائر الملك والعدل من الإله شمش، وتحت ذلك بنود من الشرائع التي جاءت كتعديل لشرائع سابقة، الشكل (1)، وقد حفر تلك القوانين بالخط المسماري واللغة البابلية على أنصبه أقامها في وسط المدن، فشاعت في البلاد كلها، وهذه الشريعة "شملت مواداً تتعلق بتنظيم مهنة الطب، والجراحة، والأجور، والعقوبات، والعلاقات الاجتماعية، وحمولات السفن، وغير ذلك"².

الشكل (1): نصب أثري من بابل، يمثّل حمورابي

يتسلم شعائر الملك والعدل من الإله شمش.

وقد وصفت شريعة حمورابي أنها وسيط بين الشرائع الآشورية الوحشية الصارمة، والشرائع الحثية اللينة، ومن الشرائع السابقة الأخرى: شريعة الملك المصلح أوروكاجينا الذي ترك لنا وثائق تصف جهوده في سبيل إصلاح اجتماعي (2380 ق.م)، حيث "قمع العبث بحقوق الناس، في

¹ بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص 241.

² رستم، سهيل، سوريون في التاريخ، (2013)، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ص 109.

حاضرته لجش، وقضى فيها على الظلم والسرقة والقتل"¹، وشريعة جوديا، شريعة ملم أور (أورنمو)، تشريع لبيت عشتار ملك ايسين (1935 ق.م) وشريعة أشنونا المنسوبة إلى بيلالاما.

- الأكاديون

بلاد أكاد هي البلاد شمالي بلاد سومر، في أواسط بلاد ما بين النهرين، تمتد من نيبور إلى سامراء بما فيه وادي ديالي، أما الإمبراطورية الأكادية فهي بلاد الهلال الخصيب بكامله، تحت حكم أكاد، كما حكمه سرغون الأكادي وحفيده نارام سين.

كان الأكاديون مزارعين عاشوا في مدن وقرى، وشاركوا السومريين طرق حياتهم وديانتهم وثقافتهم، فقد طوّر الأكاديون الزراعة حيث صمّموا قنوات الري في شبكات تشمل كل بلاد الرافدين بعدما كانت تقتصر على سومر في الجنوب، وكانوا يملكون رافعات للماء ترفعه إلى علو أربعة أمتار.

وبرعوا أيضاً في العمارة وخصوصاً هندسة القصور الملكية، حيث كان قصر نارام سين على نهر الخابور في تل براك يحتوي أربعين غرفة، وست باحات داخلية بمدخل واحد، وكانت سماكة الجدران تصل إلى عشرة أمتار، ومن أعمال الفن مسلات النصر، وأسلمها مسلّة نارام سين لتخليد انتصاره.

سرغون الأكادي: حكم بين العامين (2279، 2334) ق.م، وقد أطلق على نفسه اسم (شيروكين) أي الملك الشرعي، وكان ملكاً ذو موهبة قيادية، فقد أدخل القوس والرمح في سلاح الجيش بدل الفأس والحربة، وأخضع بلاد سومر ثم عيلام والجوتيين في جبال زغروس، فدفَعوا له الجزية بعد أن كانوا يهددون طرق التجارة. وأخضع أيضاً جبال الأكراد والهوريين ثم وصل حتى البحر المتوسط (بحر أمورو) وسار إلى غابة الأرز في الأمانوس وجبال الفضة في طوروس، وقد وُجِدَت أختام اسطوانية أكادية في قبرص أيضاً.

في عهده عُمِّت الأكادية كلغة مخاطبة في كل الهلال الخصيب، وبقيت السومرية لغة العلم والدين والأدب، أما الأكادية فبقيت لغة ما بين النهرين مدّة ألفي عام.

¹ دولابورت، ل، بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل وأشور، (1971)، تعريب مارون الخوري، دار الروائع الجديدة، بيروت، ص 102

نارام سين: حكم بين العامين (2275، 2119) ق.م، وهو حفيد سرغون، وفي عهده وصلت الإمبراطورية الأكادية إلى ذروة المجد السياسي والحضاري، حيث أصبح نارام سين كجدّه سرغون بطلاً من أبطال الأساطير، حيث لُقّب بـ (شاركبرات) أي ملك الجهات الأربعة، وبـ (وشار كشانى) أي ملك العالم.

- الكنعانيون

استوطن الكنعانيون (الفينيقيون) الشريط الساحلي للهِلال الخصيب، وكذلك استوطنوا المناطق الداخلية وأجزاء من الرافدين (الأموريون) أي الغربيون بالنسبة لسكان بلاد ما بين النهرين. وقد جاءت تسميتهم (الكنعانيون) نسبة إلى (الكنع)، وهو الأرجوان، وهو صباغ ثمين استخرجه من صدف الموريكس (Murex)، واستعمل في صباغ ثياب الأثرياء والحكام والملوك، فبلاد كنعان هي بلاد الأرجوان. وقد أطلق الإغريق على كنعانيي الساحل اسم (فينيقيون) وعلى بلادهم اسم (فينيقيا) حيث أن كلمة فينيكس (Phoenix) هي اللون الأرجواني، فهي ترجمة يونانية للكنع.

وكان نظام الحكم ملكياً وراثياً، وقد اشتهر من السلالات الملكية سلالة (حيرام الكبير) ملك صور (969-935 ق.م)، و (لولي) في صيدا وصور، صاحب المراكب الطويلة والمستديرة ومراكب الحصان، و (تبنيت) من صيدا وابنه (أشمون عزر) وكذلك الملك (ايتو بعل) من صور، وابنة حفيده (إيسار) التي أسست قرطاجة (814 ق.م) هاربة من أخيها (بيغماليون) بعد ثورة صور.. وكانت الأسرة المالكة تدّعي التحدّر الإلهي، وبالرغم من ذلك لم يكن حكم الملك مطلقاً بل يحدّه نفوذ مجلس الشيوخ المؤلف من التجار الأغنياء.

"كان الكنعانيون أول أمة بحرية في التاريخ، حيث كانت الأخشاب في جبل لبنان وافرة لبناء المراكب"¹، فكان الكنعانيون أعظم بحارة وتجار في التاريخ، حيث حملوا الخشب والقمح والزيت والنبذ والأنسجة والصموغ والفخار والأدوات المعدنية و الأصبغة لبلدان البحر المتوسط.

وكذلك فإن الكنعانيين بحسب وصف هيرودوس، هم أول من أبحر في البحر الأحمر حول إفريقيا، حيث عادوا إلى المتوسط من مضيق جبل طارق، وهم أول من خرج من المتوسط إلى الأطلسي فوصلوا الجزر البريطانية، كما وصلوا إلى القارة الأمريكية في القرن السادس قبل

¹ بشور، ودبع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص105.

الميلاد، أي قبل كولومبوس Columbus (1451،1506) ق.م بألفي عام، وذلك بحسب وثيقة باراهيبا في البرازيل*.

زرع الكنعانيون أراضيهم، فكان القمح، الشعير، الشوفان، الفول، العنب، الزيتون، التين، الرمان، الجوز والبلح، ودجنوا حيوانات كالبقر، الغنم، الماعز، الحمير، البغال، الخيل، الكلاب، الدجاج والنعام، حيث صنعوا طاسات من بيض النعام..، واعتنوا كذلك بتربية النحل كمصدر رئيسي للسكر من خلال العسل، الذي استعملوه أيضاً في الإضاءة والطب، وينسب إلى ماجون القرطاجي في القرن الثالث قبل الميلاد تأليف عشرين كتاباً في الزراعة، تحوي كل ما كان معروفاً عن علوم الزراعة والمزروعات.

أما في الصناعة فاشتهر الكنعانيون بصناعة الفخار وكذلك الزجاج حيث اخترعوا الزجاج المنفوخ في القرن الثاني قبل الميلاد، وصنعوا الزجاج الشفاف والشفاف والمعتم (كالبورسلين) ولونوها بالأبيض والأصفر والأخضر والأزرق والبنّي وفي بعض الأحيان بالأحمر، وكانت أشهر ماركات الزجاج في القرن الميلادي الأول هي ماركة (أنيون) الصيدوني (من صيدا) التي وجدت منتجاتها في مصر وقبرص وإيطاليا وجنوبي روسيا.

وقد صنع الكنعانيون أيضاً من عاج أنياب الفيلة الأمشاط والصناديق وأدوات الزينة، حيث يستدل من الكتابات الفرعونية أن الفيلة كانت موجودة في أواسط منطقة الهلال الخصيب، وعند انقراض الفيلة، استوردوا العاج من الهند عن طريق البحر الأحمر ومن قرطاجة، حيث أن الكنعانيين هناك، أقاموا مزارع للفيلة استخدموها في الحروب.

سبق الكنعانيون باقي الشعوب في التعدين (2100- 1200 ق.م) فاستثمروا النحاس والبرونز والذهب والحديد في صناعة الأواني والأسلحة، فقد قام الكنعانيون من أجل الحصول عليها برحلات بعيدة إلى الحبشة وآسيا الصغرى وجزر القصدير عند الساحل البريطاني، حيث يُذكر أن الصحون الفضية التي كانت بين أسلاب الفراعنة جاءت من بلاد كنعان.

* وثيقة باراهيبا هي حجر في مدينة باراهيبا في البرازيل، نُقش عليه بالكنعانية (أبجدية جبيل) عن وصول ثلاثة عشر رجل وثلاث نساء إلى أراضٍ جديدة هي أراضي الجبال في عهد الملك احيرام. ولوحة بارايبا تثبت ذلك والتي وجدت في البرازيل (نقش پارايبا (Paraiiba) أو (Parahyba))

وفي مجال الموسيقى صنع الكنعانيون أيضاً القانون والناي من المعادن، وأدخلوا الذهب في طب الأسنان، وكذلك صنعوا الإبر والدبابيس لحياكة الأنسجة الصوفية والحريرية، والأزرار الخزفية والعاجية ذات الثقبين.. واستخرجوا ملح الطعام من البحر.

ولعل أهم الإبداعات الفكرية الكنعانية، **اختراع الأبجدية**، حيث لعبوا من خلال هذا الاختراع الدور الأهم في مجال نقل وتخزين الفكر الإنساني والتراث الحضاري. وبعد اكتشاف أوغاريت (1929م) وَجَدَ المنقبون ألوأحاً تدريسية في اللغة والحساب والهندسة والتشريح والطب البيطري (الألف الثاني ق.م)، وللكنعانيين أيضاً أول لحن مدوّن، فمع الأدب الأوغاريتي وَجِدَتْ خمسة لوحات تامة موسيقية، منها لوحتان تعطيان أسماء أوتار القيثارة والفاصل اللحني بين وتر وآخر، ولوحتان تبين كيفية ضبط الإيقاع والدوزان.

وكان الكنعاني (ماخوس) من صيدا، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مؤسس المدرسة الذرية فيها، قد علّم أن كل جسم إنما يتألف من ذرات يمكن شطرها، وقد بقيت هذه المدرسة حتى القرن السادس قبل الميلاد.

ومن أشهر المفكرين الكنعانيين (تالس)، أبو الفلسفة وأول منبئ بكسوف قمري، وفيثاغورث، صاحب فلسفة الأرقام والتناسخ بأربعة أشكال والمدارس السرية للمعارف العليا، وزينون الرواقي مؤسس أكثر الفلسفات إنسانية، وديودوتس وأبولونيوس، وبورفير يوس الكاتب الكبير، ومكسيموس من صور وإيلملك المشرّع، وأولييانوس من صور، وأغلبهم كانوا أساتذة في الأكاديميات اليونانية، وهذا ما جعل أسماءهم مشفوعة في أواخرها بحرف السين (S) باليونانية.

- الأموريون

لا يختلف الأموريون عن الكنعانيين أثنيّاً، فهم الكنعانيون الذين استوطنوا المناطق الداخلية من الهلال الخصيب وأجزاء من بلاد الرافدين.

وكلمة (أموري) تعني (غربي) بالنسبة للبابليين و(أمورو) كلمة كانت تطلق على منطقة الهلال الخصيب بوجه عام، و(بحر أمورو العظيم) هو البحر المتوسط.

ويطلق أيضاً على الأموريين اسم الكنعانيين الشرقيين بالنسبة إلى كنعانيي الساحل، حيث أنه بينما كان للكنعانيين الساحليين في الألف الثالث ق.م مدن- دول وحضارة قائمة، كان الأموريون

البدو يسكنون الخيام ويأكلون اللحم النيء، ولا يدفنون موتاهم، ولا حتى يزرعون ولا يستقرون في الأرض، لكنهم بدؤوا في الاستقرار وإنشاء إمارات ومدن في القرن 20 ق.م حيث كان من مدنها حلب، حماه، دمشق، ماري، حران، قطنا، حاصور، جبيل، باشان، إيسين، ولارسا (شكره جنوب شرقي اوروك) وبابل..، وهذا ما يدل على انتشارهم في كل أرجاء الهلال الخصيب من بابل إلى الساحل، ومن حران في الشمال إلى فلسطين في الجنوب.

وأعظم سلالات الحكام الأموريين هي سلالة بابل الأمورية (سومو أبوم)، "التي كان ملكها السادس حمورابي (1750-1788) ق.م، وحمورابي وُحِدَ البلاد بعد أن اكتسحها حتى البحر"¹.

¹ المرجع السابق، ص179.

ثانياً: أثر النتاج الحضاري للهلال الخصيب في الحضارة الإغريقية والأوروبية

"قصة الحضارة تبدأ بالشرق"

ويل ديورانت*

استحوذت الأفكار الترويجية على الكثير من الكتاب الغربيين في أبحاثهم التاريخية والعلمية والفلسفية وغيرها، وقادتهم أهواؤهم إلى الابتعاد عن الموضوعية في معالجة الأبحاث وطرح الأفكار وتوثيق المعلومات، ليتوه الكثير من القراء والباحثين في متاهات هذه النعرات والأهواء، وتضيع إمكانية المعالجة الموضوعية الهادئة.

حيث فرضَ الكثير من المؤرخين والفلاسفة والأدباء الغربيين، الحضارة الإغريقية كما لو كانت إجازاً فريداً يتضاءل إلى جانبه ما قدمته حضارات الهلال الخصيب، فرغم أن الحضارة الأوروبية تعيش في منظومة دينية قائمة على تراث شرقي صريح، فقد آثرت أن تختال بالنتاج الفلسفي والعلمي الإغريقي كأساس لنهضتها، فكان عليها إعلاء فكرة أن الفلسفة الإغريقية ما هي إلا معجزة العقل الأوروبي، وأن أهل الشرق لا يرتفعون إلى مقامه السامي، أو على الأقل، أن اليونان هم أول من بدأ العلم النظري والفلسفة، وأن من سبقهم لم يصل إلا إلى طور العلم العملي فقط.

ويأتي من يردّ على هذه الفكرة ويتحدث بالتفصيل عن المؤثرات الخارجية للمعرفة الفلسفية والعلمية عند الإغريق، فيقول (وولف): "أن التفكير العلمي والفلسفي المتميز عن الفكر الأسطوري القديم كان قد ظهر لأول مرة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وإن ظهور هذا النمط من التفكير مدين بالكثير للنتائج العلمية التي وصلت إليها مصر والعراق"¹.

فقد عرف الشرقيون القدماء أنواعاً متعددة من العلوم، وأنماطاً كثيرة من الفكر الفلسفي والديني، كانت سابقة على ولادة الفلسفة والعلم في اليونان.. فالمصريون القدماء عرفوا التشريح والعلاج الطبي، وعرف البابليون رصد الكواكب وحركاتها وعلّة الكسوف والخسوف، وكلا الشعبين اشتهر

* ويليام جيمس ديورانت William James Durant (1885-1981)م، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أميركي، من أشهر مؤلفاته: قصة الحضارة.

¹ أ.وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم، (1936)، ترجمة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ص7

بالرياضيات والهندسة، فاكتشف البابليون الأعداد الصم وكذلك الجذور وقيمتها التقريبية وعرفوا المعادلات المتجانسة فكانت الرياضيات تحمل صفة التجربة والنظر معاً.

ومن بين من رفض الاسياق وراء هذه الأهواء والنعرات الحضارية، العالم والمؤرخ البريطاني برتراند راسل Bertrand Russell (1872-1970)م، ليأتي كلامه انسجاماً مع معطيات الوضع الحضاري الشرقي الذي أثار في عملية التطور الفكري العام لبلاد الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد حيث قال: "في كل التاريخ ليس هناك شيء أكثر إثارة للدهشة بل لم يكن في الحسبان الظهور المفاجئ للحضارة في بلاد اليونان، إن كثيراً من مقومات الحضارة كان قائماً منذ آلاف السنين في مصر وبلاد ما بين النهرين ثم انتشر إلى البلاد المجاورة"¹، ويؤيده البلجيكي جورج سارتون George Sarton (1884-1906)م، في مقدمة كتابه (تاريخ العلم) ويقول: "إن من السذاجة القول ببداية العلم في اليونان،.. فمن سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق فإن (المعجزة) اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرها من الأقاليم، والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعاً"².

ولاشك أنه، في مسيرة الحضارة الإنسانية، قد حدثت قفزات أو تبدلات كيفية تحكمها القوانين الاجتماعية العلمية، وعلى الأخص قانون التحول، وعلى ضوء هذا القانون، يمكن تفسير القفزة الحاصلة عند ظهور الحضارة الإغريقية التي قَدّمت، في مدى أربعة قرون، تحولاً كبيراً ظهر في مجالات كثيرة في الفكر والسياسة والعلوم، على أن هذه القفزة ما هي إلا "تبدّل حدث من تجمّع كمي، هو حصيلة ما كسبته البشرية من تقدّم في نواح حضارية مختلفة قبل الإغريق، كالعلوم، الصنائع، الفنون، الاعتقادات والنظم، ومن ثمّ، وضمن ظروف اجتماعية، اقتصادية، سياسية وبشرية (وليس من تفوّق عرقي أو مجرد معجزة كما يرى البعض)، تجمّعت هذه التحولات وانتهت، مع الإغريق وبداية القرن السادس قبل الميلاد، إلى تحوّل كمي"³.

1 الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، (1999)، الطبعة 1، دار علاء الدين، دمشق، ص5

2 المرجع السابق ص6

3 المرجع السابق ص8

- المسيرة الحضارية من منطقة الهلال الخصيب إلى بلاد الإغريق وأوروبا:

الحضارة "هي مجموعة من الإنجازات المتفاعلة المترابطة، هي تاريخ الإنسان، وتشمل معلوماته العلمية والفلسفية، آراؤه الدينية وسلوكياته الاجتماعية، عاداته ومؤسساته الاجتماعية والسياسية، والفنية والأدبية كذلك إنجازاته التكنولوجية"¹

وكلمة (الحضارة) تشتق من كلمة (الحاضرة) أي القرى والمدن، و(الحضر) هم سكان المدن والأرياف، و(التحضر) هو التخلُّق بأخلاق الحضر أهل المدن، وإن الحضارة القديمة مازالت في استمرارية حية في حضارتنا الحالية، ولها وجهان: روحي- إنساني وهو ما يُدرَس في العلوم الإنسانية ذات الطابع الثقافي كالآداب واللغات والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والفنون، والوجه الثاني مادي- تكنولوجي وهو ما يُدرَس في العلوم التطبيقية أو الطبيعية، و "في القديم كان الوجه الروحي الإنساني هو الغالب عندما كان المجتمع قيد التكوين، والمفكرون منصرفون إلى تفسير الكون"².

يقول ويل ديورانت: "قصة الحضارة تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدينة معروفة لنا فحسب، بل لأنها كانت البداية والأساس للثقافة اليونانية والرومانية.. وكم يدهشنا.. كم من نظامنا الاقتصادي والسياسي وما لدينا من علوم وآداب وفلسفة وفن ودين يرتد إلى مصر والشرق"³. ف "عند قيام الإمبراطوريات في بلاد الرافدين وقيام حكومات المدن في الشام، كانت أوروبا لا تزال تمرّ بمرحلة العصر الحجري القديم"⁴، في الوقت الذي عرف سكان الهلال الخصيب تنظيم الحكومات والكتابة وبناء المعابد والقصور والكثير من الصناعات.

وسارت هذه المعارف كنتاج حضاري انتقل عبر محطات التبادل في تلك الجزر الواصلة بين منطقة الهلال الخصيب وبلاد الإغريق، كجزيرة كريت، قبرص، مالطا، صقليا، سردينيا، وكذلك عبر الإمبراطورية الكنعانية (قرطاج) الكائنة على الشواطئ الشمالية من القارة الإفريقية.

¹ بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذلك سابقاً، ص9

² المرجع السابق، ص 10.

³ الرفاعي، أنور، تاريخ الحضارات والأساطير، (1999)، الجزء 2، الطبعة 5، منشورات جامعة دمشق، ص4

⁴ المرجع السابق ص3

فقد "كانت حضارة كريت التي سبقت حضارة الإغريق بألف عام، حلقة الوصل بين منطقة الهلال الخصيب وبلاد الإغريق"¹، إلى جانب قبرص التي لعبت الدور الأبرز، إذ أنشأ الكنعانيون أول حواضرها وأسسوا فيها عبادة عشتار، التي كان معبدها في مدينة بافوس، ويعتبر من المعابد المشهورة في العالم القديم، عندما كانت هذه المدينة مرتبطة مباشرة بملك جبيل (بيبلوس) الكنعانية، وغدت عشتار الكنعانية (أفروديت الإغريقية) بعدما أخذ الإغريق عبادتها من جزيرة قبرص، وإضافة لهذه الجزر كانت المستعمرات الكنعانية منتشرة في: كيليكيا، الدلتا المصرية، تونس، الجزائر، ليبيا، المغرب، إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، واليونان، "فتحول البحر المتوسط إلى بحيرة كنعانية قبل أن يتحول إلى بحيرة إغريقية أو رومانية بزمن بعيد"²، ف "الثقافة الكنعانية كانت ذات تأثير مباشر على الثقافة الكريتية والثقافة اليونانية المبكرة، ومن ثم دخلت الحضارة الكنعانية في أساس الثقافة اليونانية اللاحقة"³.

- الأبجدية والكتابة واللغة

سارت الكتابة في درب تطور الحضارات وأخذت موقعها لما لها من دور هام في التعبير ونقل المفاهيم والعلوم وتوثيق المجريات عبر الأجيال، وحفظ الإنتاج الفكري والميراث الثقافي والعلمي من الانتثار.

ففي بلاد الرافدين، تظهر أقدم كتابة في الحضارة الإنسانية، حيث يغادر عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية مع ابتداء الفترة المعروفة بحضارة (جمدت نصر)، (3100-2900) ق.م، وذلك في فترة أوروك، حيث "تظهر النماذج الكتابية الأولى كأعظم المنجزات السومرية حوالي (3500) ق.م، في ألواح طينية صغيرة عليها إشارات كتابية بدائية جداً"⁴، فقد أخذت الكتابة في بداياتها الصورية تعبر عن الموضوعات المراد الحديث عنها من خلال صورة مرسومة، لتعبر عن الأشكال الحروفية الأولى ضمن صور تجريدية كإشارات وعلامات مختلفة، وما لبثت الكتابة أن دخلت في منظومتها الرمزية بدلائلها المختلفة، وكمثال عن ذلك: صورة الماء مع صورة الفم يدلان على فعل (شرب). الشكل (2)

1 المرجع السابق، ص4

2 بشور، ودبع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص106

3 السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة- سورية وبلاد الرافدين، (1990)، الطبعة9، دار المنارة، دمشق، ص119

4 السواح، فراس، جلجامش، ملحمة الرافدين الخالدة، (2002)، الطبعة2، دار علاء الدين للتوزيع والنشر، دمشق، ص19



الشكل(2): كتابة صورية.

وتحولت هذه الإشارات إلى نوع من الكتابة الهيروغليفية التصويرية التي ترسم شكلاً يشبه الشيء الذي يدل عليه، ثم تحولت إلى كتابة مسمارية مقطعية، يدل كل رمز فيها على مقطع صوتي يضم أكثر من حرف واحد على الأغلب.

وانتشرت المنظومة الكتابية المسمارية عند كافة شعوب الشرق القديم، إلى بلاد عيلام، الهند، الصين، ومصر أيضاً، حيث "تظهر التأثيرات السومرية في الحضارة المصرية القديمة والتشابك الحضاري المشرقي"¹، لكن السومريون طوّروا كتابتهم نحو تبسيط هذه الكتابة و"جعلوها في متناول أكبر عدد ممكن من الناس خلافاً عن أقرانهم المصريين القدماء الذين كانوا يسيرون في تطوير الكتابة الهيروغليفية نحو أشكال أكثر تعقيداً، تجعلها بعيدة عن متناول الشرائح العامة من الناس وتُختصر مهامها في عدد محدد من المجالات"².

¹ أ. وادل، الأصول السومرية للحضارة المصرية، (1999)، ترجمة: زهي رمضان، مراجعة: خزعل الماجدي، الأهلية للنشر، الطبعة 1، عمان، الغلاف.

² السواح، جلجامش، مرجع ذكر سابقاً، ص 19

وقد طوّروا الأوغاريتيون واخترلوا العلامات المسمارية إلى 30 علامة أبجدية في القرن الرابع عشر ق.م، وكانت قد ظهرت اللغة الآرامية، المنافسة للغات الكتابة المسمارية في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، وحروف الأبجدية الآرامية هي الحروف المجموعة في عبارة: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) وهي 22 حرف من اليمين إلى اليسار، لتصبح في اللغة العربية (28) حرفاً مجموعة في عبارة (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ).

THE EVOLUTION OF THE CAMEFORM SIGNS

PICTOGRAMS		CLASSICAL	SUPERMAN	OLD- ALEXANDRIAN	OLD- ASSYRIAN	OLD- BABYLONIAN	NEO- BABYLONIAN	NEO- PERSIAN	Hebrew	King
URUK c. 3400 Mesopotamia	SPHRYNINE c. 2800 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia	URUK c. 3400 Mesopotamia		
									HEAD	HEAD
									HAND	HAND
									FOOT	FOOT
									BIRD	BIRD
									FISH	FISH
									TREE	TREE
									STREAM	STREAM
									TREE	TREE

الشكل(3): الصورة العليا تصور تطور شكل التعبير عن الشيء منذ 3500 ق.م والصورة السفلى تصور الكتابة المسمارية في بداية تغيرها إلى مسمارية رمزية.

فالحروف الأرامية المشتقة عن الكنعانية، اشتقت منها الأبجدية اليونانية، وقد "كان لولادة الحروف الهجائية اليونانية أكبر الأثر في توحيد صور التفكير اليوناني منذ بدايات القرن الثامن ق.م"1، فالإنجاز السوري على صعيد الكتابة واللغة هو إنجاز جاب منطقة جغرافية كبيرة في العالم القديم، بمعايير الزمن والمعطيات، فتكثر في اللغات الأوروبية على اختلافها مصطلحات من الإرث الإغريقي كما في المسرح في كل سماته وأسمائه والألعاب الرياضية والدورات الأولمبية، فعندما "كانت الجنة بالنسبة للكنعانيين هي (حقول إيل، إله السماء)، وهي حقول ليس لها مكان واضح، فقد ترجمها الإغريق لـ Campi Elysae، وتعني حقول إيل، صارت بالفرنسية Champs-Élysées، ويطلق هذا الاسم على حي وشارع في العاصمة الفرنسية باريس، ويقع قصر الرئاسة (الإليزيه) في هذا الشارع"2.

- الموسيقى

وفي مجال الفنون الموسيقية، دلت المكتشفات في أوغاريت أن السلم الموسيقي المعروف في بلاد الإغريق بـ (سلم فيثاغورث)، كان مضبوطاً بشكله النهائي قبل 1400 عام من نسبه إلى فيثاغورث، إذ يعود تاريخ لوح يصف طريقة شد دوزان أوتار الكنارة (آلة وترية بخمسة أوتار) إلى 2000 ق.م، ويخبرنا عفيف بهنسي (1928-2017)م، في مقدمة كتاب البعثة الفرنسية المنقبة (رأس الشمرة لمؤلفه كلود شيفر، أن أقدم لوح قطعة موسيقية اكتشفت في أوغاريت تعود للقرن الرابع عشر ق.م، أي قبل ألف عام من ظهور علم الموسيقى على يد فيثاغورث، ولقد "أكدت عالمة كيلمر Kilmer أن موسيقى رأس الشمرة التي تقوم على السلم السباعي الدياتوني هي أساس الموسيقى الغربية"3.

وكانت القيثارة السومرية مفتاح الأساس لصنع جميع الآلات الوترية، حيث تعتبر أقدم آلة موسيقية عرفها التاريخ، وتعرف أيضاً باسم قيثارة سومر أو قيثارة أور، حيث وجدت هذه الآلة ذات الأوتار عام 1929م في أور في جنوب بلاد الرافدين، وتعود لـ 2450 ق.م، الشكل (3).

1 السعدني، محمود ابراهيم، الحضارة الهلينية، (1991)، الجزء 1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص33

2 بشور، وديع، الميثولوجيا السورية مرجع ذكر سابقاً، ص348

3 شيفر، كلود، رأس الشمرة، (1980)، البعثة الفرنسية المنقبة، ترجمة: فهمي الدالاتي، مطبوعات المديرية العامة للأثار والمتاحف،

دمشق، ص7



الشكل (4): القيثارة السومرية.

عثر على العديد من الآلات الموسيقية، النفخية والقرعية والوترية في أوغاريت أيضاً، ومن هذه الآلات النفخية (البوق) العاجي الذي اكتشف عام 1952م في أنقاض القصر الملكي، وقد تبين أنه بوق مصنوع من ناب فيل وليس (إناء لصب الزيت) كما ساد وقتها.

وفي أوغاريت أيضاً وجد الناي، ويلفظ (تلب) tlb، وهو من الأدوات الشهيرة والمستخدمه جداً في المدينة، وفي عموم الشرق، فهو مثلاً من لوازم (تموز) التي تحطمها الشياطين حين يمسون به لإنزاله إلى العالم السفلي.

- التشريع

ولعلّ التشريع من أهم النواحي الحضارية، انطلاقاً من أن واقع الحال الاجتماعي لبلد ما، تعكسه التشريعات السائدة فيه، فعند إجراء مقارنة بين تشريعات منطقة الهلال الخصيب القديمة وتشريعات بلاد الإغريق السائدة آنذاك، لا نجد صعوبة في إيجاد فروقات واسعة تثبت أن حضارات الهلال الخصيب كانت الأسبق والأعمق في نواح متعددة اجتماعية، وقانونية واقتصادية وغيرها، ففي تلك العصور، تفشت أمراض اجتماعية خطيرة في بلاد الإغريق، كانتشار وأد الفتيات والتخلص من الأطفال الذكور ضعاف البنية بقتلهم أو نفيهم. ففي الوقت الذي تمتعت فيه المرأة البابلية على سبيل المثال بحقوق لم تعرفها من قبل، كانت المرأة الإغريقية رازحة تحت ظلم و عسف القانون، حيث نصت تشريعات بابل الشهيرة على تمتع المرأة بالشخصية القانونية، كامتلاك أموالها الخاصة والتصرف بها، ومساواتها بالرجل في الشهادة وحق التقاضي حين منعت المرأة الإغريقية من حقها

في القراءة والكتابة والتملك ولو عن طريق الميراث، وعلى الرغم من أن المجتمع الإغريقي عرف حالات لنساء مميزات كالشاعرة (سافو)، إلا أنهم بقين استثناءً في بنية مجتمعية وقانونية ترى المرأة بصورة دونية بشكل عام.

وفي الوقت الذي سيطرت الكنيسة على أوروبا، وأجحفت حقوق الناس وباعتهم صكوك الغفران، كان حمورابي منذ آلاف السنين في الهلال الخصيب ينقل جميع السلطات من المعبد إلى القصر، وأصبح صنف القضاة وشؤون المحاكم علمانية، وأجلى ما يوضح لنا هذه الظاهرة الجديدة في الرافدين ضخامة القصور الملكية التي طغت على المعابد، وخلال حكم نبوخذ نصر (605-562 ق.م) وبعد وفاة (ايتوبعل) ملك صور عام 564 ق.م "سقط النظام الملكي في بلاد كنعان، وحلّ محله نظام شبه جمهوري، هو نظام القضاة (السواقط أو شوفليم) الذي طُبّق في قرطاجة الكنعانية ثم اقتبسه الرومان فيما بعد تحت اسم نظام القناصل (مع مجلس شيوخ ومجلس شعب)¹، و"دخلت شريعة حمورابي في التشريع الأميركي المدني عام 1839م، وبدءاً من هذا التاريخ بدأت شعوب أخرى تقلّد التشريع البابلي الأصلي"².

- العلوم والفلسفة

على الرغم من المساحة النسبية الصغيرة للأرض الكنعانية في منطقة الهلال الخصيب، فقد امتدت الحضارة الكنعانية على مساحات كبيرة غرباً، حيث أنشأ الكنعانيون مستعمرات بأعداد كبيرة، وانبثقت منها منشآت كنعانية، وتأسست مدن عديدة على مساحات شاسعة خارج منطقة الهلال الخصيب.

فقد أنشأت مدينة صور الكنعانية لوحدها حوالي ثلاثمائة مدينة على سواحل إفريقيا، وفي أزمنة أقدم زرعت مستعمراتها في قسم كبير من الأرض الإسبانية، بين 1100 و 800 ق.م، وهكذا فقد استولى الكنعانيون "على كل الجزر المحيطة بصقلية والمجاورة لإسبانيا وسردينيا، وكذلك سواحل مصر وليبيا"³، وفي هذا الانتشار الواسع للكنعانيين، انتشرت معهم ثقافتهم وعلومهم المتعددة كمسيرة طبيعية لانتقال الحضارة.

¹ بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص104

² رستم، سهيل، سوريون في التاريخ، مرجع ذكر سابقاً، ص111

³ ..، الفينيقيون وأميركا، فصول شغلت العالم، (1991)، ترجمة وتحقيق: د. عبد الله الحلو، الطبعة 1، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت،

ص22 و23

فالمدن على السواحل الغربية لآسيا الصغرى، كانت قد سبقت اليونان بتطورها الاقتصادي، التجاري، الثقافي والفكري، و"كانت مالطة أكبر مدن آسيا الصغرى والتي عاش فيها الفلاسفة الثلاثة (تالس، أناكسيمندر، وأكسيمانس) حيث ظهرت أولى التعاليم المادية في أواخر القرن السابع وحتى نهاية القرن السادس ق.م"¹.

والجدير بالذكر أن كثيراً من العلماء والمفكرين قد ساد الاعتقاد حولهم أنهم علماء إغريق، بينما كانوا في حقيقة الأمر علماء ومفكرين من منطقة الهلال الخصيب، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

تالس (طاليس) Thalies of Melitus

ولد تالس في (ميليتس) والتي هي مالطية، عام 640 ق.م، وهي جزيرة غير جزيرة مالطة المعروفة، وتقع قرب الشاطئ الشمالي الشرقي للمتوسط جنوبي مدينة طرسوس، وكانت وقتها مستعمرة كنعانية، وقد كان تالس ابناً لـ أبقسامياس (أقساميا) وهو اسم شرقي فينيقي، والاسم (أقساميا) يعني الله نفسه عند الكنعانيين، وقد كتب عنه المؤرخ (هيرودوتس) الملقّب بـ (أبو التاريخ) (484-425 ق.م): إن طاليس رجل مالطية الفينيقي الأصل. وكذلك كتب (فيدوجانس اللايرتي) سيرة حياة تالس وجاء فيها: إنه فينيقي من سلالة قدموس الذي هاجر من صور إلى اليونان، وعلم أهلها الكتابة بالحرف الفينيقي.. إن أهله هاجروا من فينيقيا.

و تالس، هو من أدخل علم الهندسة* إلى بلاد اليونان، واشتهرت نظريته المعروفة بـ (نظرية تالس)، و "هو من أدخل علم الفلك إلى تلك البلاد وذلك قبل الكاهن الكلداني (برغوشا) بثلاثة قرون"².

وقد عاد تالس إلى منطقة الهلال الخصيب، فنهل من علومها، وأفاد من العلوم البابلية و"تنبأ تالس بكسوف الشمس الذي حدث فعلاً في 28 أيار عام 585 ق.م"³، ويقول (أرسطو) عنه: "إن

* لـ (تالس) نظريات هندسية منها : قطر الدائرة يقسمها إلى نصفين متساويين- الزاويتان على قاعدة مثلث متساوي الضلعين متساويتان، والمثلثات المتساوية الأضلاع متساوية الزوايا- الزاويتان المتقابلتان المكوّنتان من تقاطع خطين مستقيمين متساويتان- الزاوية في نصف الدائرة هي زاوية قائمة - يمكن معرفة مقاييس مثلث ما إذا عرفت القاعدة والزاويتان الملاصقتان لها.

1 الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص95

2 بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص160

3 الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص96

طاليس تعلم علم الفلك في بابل لأن البابليين كانوا يراقبون الأفلاك ويتنبؤون بالكسوف والخسوف قبل حدوثها"¹.

وعمل تالس كمهندس حربي، وهو من نبّه المصريين في قياس ارتفاع الأهرامات، إلى أن (ظل الشيء) يساوي ارتفاعه في أحد أوقات النهار، وقد قال بأن الشمس أكبر من القمر بـ 720 ضعفاً، و"يقول أرسطو أنه أول من حدد فصول السنة وأول من قسّم السنة إلى 365 يوماً"².

وتالس أول من يتحدث عن الفلسفة الطبيعية، وقد آمن بوحدة الكون أي أن كل شيء ينبثق من واحد، ويقول أرسطو وهيباس أنه نسب وجود الأرواح إلى الجمادات معللاً سبب انجذاب الحديد إلى المغناطيس، كما أنه أول من قال بخلود روح الإنسان، ويرى بأن الأشياء كلها تصدر عن أصل واحد والذي هو الماء، وأن الأشياء حية لأنها متحركة، فالحركة روح الأشياء، وهي متغلغلة في الكون بكليته على أساس أن الشيء يتكون مما يتغذى منه، فالنباتات والحيوانات تتغذى بالرطوبة، والتراب يتكون من الماء الجامد، وكذلك الأرض بأسرها عبارة عن قرص يطفو على سطح الماء، وكذلك الدخان والنار والأبخرة تخرج من الماء، وقد حاول تحديد موقع القمر والشمس والنجوم "متكناً على وسادة العلم البابلي"³.

فيثاغورث (بيثاغور) Pythagoras

ولد فيثاغورث في مدينة (صيدا) على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط في منطقة الهلال الخصيب بين عامي (580 و 570 ق.م) "من أبوين صوريين"⁴، أمه اسمها (برثينيس) ويعني الاسم (الابنة الحنون)، ووالده من مدينة صور واسمه (أمني سركو)، أو (سارخوس) ويعني (خائف الله) 580 ق.م والذي كان يعمل في التجارة إلى جزيرة (ساموس) التي أعطته جنسيتها، وقد عمّده* أمه في نهر أدون (نهر ابراهيم) المتدفق من مغارة أفقا في كسروان في لبنان، حيث نذره أهله للإلهة عشتار، ثم هاجروا به إلى بلاد اليونان في (ساموس)، انتقل إلى مالطية، وهناك التقى بالفيلسوف والرياضي (تالس)، وعاد إلى منطقة الهلال الخصيب حيث زار بابل للاطلاع على علومهم المخبأة في هياكلهم، وقد أقام في مصر عشرين عاماً، ثم في بابل (12) عاماً، حيث عمّق

* في ديانات منطقة الهلال الخصيب القديمة، كان الاعتماد بماء النهر طقساً دينياً.

1 رستم، سهيل، سوريون في التاريخ، مرجع ذكر سابقاً، ص147- ص150

2 بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص160

3 الصالح، عبد الحميد، المدخل إلى تاريخ الفلسفة، (الفلسفة القديمة)، (1986)، جامعة دمشق، دمشق، ص253

4 بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص162

معارفه في الرياضيات، علم الأرقام، المبادئ الكونية، علم الفلك، والديانات المنتشرة كالبابلية والكنعانية.. ثم اتجه إلى بلاد اليونان في (ساموس) لينشر رسالته فيها.

"لا يزال لفيثاغورث أتباع في أنحاء العالم، كالولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل، ففي البرازيل توجد مؤسسة جامعية وضع في إحدى قاعاتها تمثال له، كما أنها تدرّس تعاليمه ونظرياته"¹

أرسطو Aristocle:

ولد أرسطو في 348 ق.م في مدينة (اسطاغيرا) وهي مستعمرة قديمة أيونية على الشاطئ الشرقي لبحر إيجه واسمها اليوم ستافرو، كان والده فينيقياً واسمه (نيكوماخ) وفي سن الثامنة عشرة جاء إلى أثينا ودخل أكاديمية أفلاطون.

ورحل بعد وفاة أفلاطون إلى آسيا الصغرى، وعهد إليه بتربية الإسكندر بن الامبراطور فيلب المكدوني، وتوفي في مدينة خلقيس في جزيرة أوبا، هو أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية وامتاز بدقة المنهج واستقامة البراهين والاستناد إلى التجربة الواقعية، وهو واضع علم المنطق كله تقريباً.. ومن هنا لقب بـ (المعلم الأول) و (صاحب المنطق)، وضع كتب في المنطق والطبيعة والميتافيزيقيا والأخلاق والشعر.

هيرودوت Herodotus:

يلقب بـ (أبو التاريخ)، ولد في مدينة (هاليكرنس) قبل الحرب الفارسية في آسيا الصغرى، في (484-425 ق.م)، وكانت شخصيته معروفة تماماً عام 68 ق.م.

امتاز بدقة الملاحظة، حيث قام بتسجيل عدد كبير من أقاصيص الشعوب، التي مر بها وجال في أرجائها، حيث بدأ رحلة طويلة جال بها بلاد الشرق الأدنى، بابل، فلسطين ومصر، وكذلك بلاد اليونان وإيطاليا وصقليا وطيبة، وضع دراسة جغرافية لهذه البلاد ثم كتب تاريخها الذي تطرّق فيه

¹ رستم، سهيل، سوريون في التاريخ، مرجع ذكر سابقاً، ص 162

إلى نظمها الاجتماعية وحضاراتها، وفي أواخر حياته انصرف إلى كتابة تاريخه الموسع المعروف بـ (تاريخ هيرودوتس)، "حيث اعتُبر هذا التاريخ من المصادر الهامة عن الحضارات القديمة"¹.

ومن جملة العلوم أيضاً علم الجمال الذي تعود نشأته إلى عهد الدول القديمة في الشرق: مصر وبابل، الهند والصين القديمة، فـ "العلاقات التجارية والثقافية الواسعة مع شعوب الشرق هو منبع الازدهار الفلسفي والفكر الجمالي وتنوع الاتجاهات الفلسفية والجمالية في اليونان القديمة"². حيث أن مؤرخ الفن لا يستطيع عزل ما يسرده من أحداث الفن وتطوراته عن أحداث الفكر التي واكبتها، فما افترق مسارا الفكر والفن في عصر من العصور، بما أن "الفن يؤثر ويتأثر بالمجال الثقافي المحيط به وبما ينبض فيه من الأعمال الأدبية والشعرية والعلمية والرياضية"³.

- الأسطورة والأدب والدين

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا مغمورة تحت طبقات الجليد، كان الإنسان في الهلال الخصيب يتابع مسيرته الحضارية، إذ أن "المدّ الجليدي لم يصل إلى سوريا، بل قابله عصر الأمطار"⁴، في أرض خصبة خيرة، وبيئة مناسبة حاضنة للفكر الإنساني المبدع فيه، والذي شكّل إرثه الحضاري والأسطوري في تتابع مستمر، فنضجت الأساطير والحكايات والقصص، الفن والأدب، وعلوم كثيرة.. وتشير الشواهد الحضارية المنتشرة في أصقاع العالم الجديد، إلى أن ما أبدعته منطقة الهلال الخصيب فناً وأدباً، في عصر ما، ترنّم وتباهى به الإسباني على سبيل المثال، في عصر آخر وبفارق ألف عام.

حيث عثر في جزيرة إبيزا الإسبانية على قطعة أثرية من يشب أخضر* يعود إلى القرن الخامس ق.م، تصوّر زخرفته إلها برأس ثور يتهيأ لتسديد ضربة إلى عدوّ طريح على الأرض وقد بيّنت التحاليل أن الإله المنتصر هو (بعل) الكنعاني، والمهزوم هو (يم) إله القوة المائية العاتية، و"هذا المشهد هو تصوير لأسطورة أوغاريتية تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م"⁵، وهذه القطعة

* يشب الأخضر: نوع من الفلزات في الطبيعة.

¹ Denniston, J.D. Art. Herodonis. The Oxford classical dictionary, London 1949.P.421-423

² الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص347

³ عكاشة، ثروت، الفن الإغريقي، (1982)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص87

⁴ بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، مرجع ذكر سابقاً، ص35

⁵ فنطر، محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، (1999)، تونس، تونس، ص240

الأثرية "مسجلة في متحف جزيرة إبيزا في إسبانيا برقم 3650، حيث كانت في قبر من قبور بويج ديس مولنس ويحمل رقم 13 تم الكشف عنه عام 1921"¹.

ومن هذا التراث الأسطوري في منطقة الهلال الخصيب، استمدت الأساطير الإغريقية، وكذلك الفلسفة اليونانية الأولى مضامينها وموضوعاتها، فهي "تدين بولادتها وتطورها إلى تلك الأساطير الشرقية والتي شكّلت نقطة انطلاق الفلسفة"²، حيث أن التشابهات القوية بين القصص الإغريقية من جهة، والتي تدور في أغلبها حول بطولات أمرائهم وأمجاد أسلافهم، وأساطير الهلال الخصيب من جهة أخرى، لا يمكن أن تكون وليدة المصادفة وحدها، فقد "تأثرت أساطير الإغريق تأثراً ملحوظاً بأساطير السومريين والبابليين والكنعانيين وأدبهم"³. فنجد مثلاً أن "الأساطير اليونانية قد نَسَخَتْ بعد ألفي سنة، حرفياً وصنّف العالم الأسفل السومري، فنجد بوابات العالم الأسفل ونهره، وملامحه ومملكه ومليكته"⁴ حيث أن مجموعة من الأفكار الأسطورية انتشرت في كل منطقة شرق البحر المتوسط وأثرت في أدب الشرق الأدنى وأدب اليونان. وجزيرة (كريت) ربما كانت هي حلقة الوصل بين المنطقتين، لكن عناصر الشبه أقوى وأكثر من أن يكفيها مثل هذا التعليل أو التفسير .

فنجد مثلاً أن أسطورة الطوفان، والتي تكررت خطوطها العريضة في تراث منطقة الهلال الخصيب، قد انتقلت إلى بلاد الإغريق مع السفن الكنعانية، لتروي لنا الأسطورة الإغريقية قصة الطوفان ذاتها.

ولأن الإغريق قد "تميّزوا بقدرتهم على تحويل ما يأخذونه عن الغير لجعله يناسب أسلوب معيشتهم، ولتفق مع طبائعهم وميولهم ورؤيتهم للحياة"⁵ فقد أضفت أساطيرهم على عمليات الخلق الأولى في التمثلات الأسطورية السومرية والبابلية والكنعانية نوعاً من العقلانية النوعية، فعملوا جاهدين للتخفيف من دور الآلهة في عمليات التكوين الأساسية للعالم والإنسان حيث "خُلِقَ اليونان آلهتهم على صورتهم ومثالهم"⁶ في الوقت الذي اجتمعت فيه أساطير منطقة الهلال الخصيب حول مسألة أساسية تركّز على الدور الاستثنائي والمميز للآلهة في عملية التكوين وخلق

* هيسبيود، او هيسبيودوس، شاعر ولد 848 ومات 777 ق.م وكان من معاصري هوميروس الذي اجتمع به وقرأ له شعره فقال إعجابه.

¹ W.Culican :Baal on Ibiza Gem,in :Rivista di Studi Fenici 4 Roma,1976.P.57

² الشامي، علي، الفلسفة والإنسان، (جدلية العلاقة بين الفكر والوجود)، (1991)، الطبعة 1، دار الإنسانية، بيروت، ص 61

³ أحمد علي، عبد اللطيف، التاريخ اليوناني (العصر الهللاذي)، (1976)، الجزء 1، دار النهضة العربية بيروت، ص 183

⁴ السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، مرجع ذكر سابقاً، ص 42

⁵ الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص 244

⁶ هملتون، ادبث، الميثولوجيا، (1990)، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 7

العالم، لأن الإنسان أعجز من أن يكون هو نفسه مصدر التكوين، إنما "الآلهة وحدها من تخلقه وتعطيه الحركة، الانتظام والديمومة"¹. وقد أخذ الإغريق أيضاً عن أساطير الهلال الخصيب فكرة تتابع الحكام من السماء، أي التسلسل في أنساب الآلهة، وهي الفكرة التي نجدها في أشعار هوميروس وإن لم تتبلور إلا في قصيدة (أنساب الآلهة) لـ هيسودس*، فملاحم هوميروس والتي هي أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقي تعود بذور شعرها الملحمي الأصلية إلى الأناشيد والتراتيل الدينية التي تغنت بأمجاد الآلهة في الأعياد والمهرجانات العامة قبل الحرب الطروادية، فـ "تركت بصماتها على الملاحم التي نُظمت لتروي أحداث هذه الحرب"² حيث قام هوميروس بجمع الأخبار والقصص والأساطير عن العصور الماضية "ليستخلص منها صورة حية، ضمّنها تصورات عصره عن الآلهة والبشر"³.

فلا يمكن تجاهل أوجه الشبه الكبيرة بين ملحمة الإلياذة الإغريقية من جهة، وملحمة جلجامش السومرية الأصل والتي استحقت أن تتبوأ مكانها في الأدب العالمي، لأنها "سبقت الملاحم الهومييرية بألف وخمسمائة سنة على الأقل"⁴، ولأنها مزيج من المغامرة والأخلاق والمأساة، من جهة أخرى.

وقد أشار محمد الخطيب إلى تأثير الإلياذة الإغريقية الكبير بملحمة جلجامش، وأن أوجه الشبه بين الملحمتين كبير فالزيارة التي قام بها (أوديسيوس) للعالم الآخر في الإلياذة، هو مشهد مستعار من زيارة (أنكيذو) صديق جلجامش لعالم الموتى، وأن فكرة القيام بحملة حربية للظفر بعروس جميلة أو استعادتها والواردة في الإلياذة، تذكرنا بمثلتها الواردة في ملحمة (كرت) الكنعانية، كما أن بعض الشخصيات والمواقف والتعابير في الأدب الأوغاريتي في بلاد كنعان، "نتم عن تأثير الأساطير الإغريقية بها"⁵. وكذلك فإن العقيدة اليونانية عقيدة (ديونيوسوس) والمأخوذة من الأسطورة التمزوية في منطقة الهلال الخصيب والتي لها نظير أيضاً في (الأوزوريسية) المصرية والقائلة بمقتل الابن المقدس (تموز، في الهلال الخصيب) و(أوزوريس، في مصر) من أجل خير

*رواية (روميو وجولييت) من أهم أعمال الكاتب وليم شكسبير (1564-1616) وهو من أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي

1 الشامي، علي، الفلسفة والإنسان مرجع ذكر سابقاً، ص61

2 عثمان، أحمد، الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، (1984)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الكويت، ص16

3 الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص246

4 بشور، وديع، الميثولوجيا السورية، مرجع ذكر سابقاً، ص183

5 الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص244

البشرية وفدائها ثم بعثه من بين الموتى، كل ذلك وجد سبيله إلى عقيدة المسيحيين، فـ "ما كان يمكن للغرب أن يعتقد المسيحية على الصورة التي اعتقها لو لم تحمل في طياتها بذور يونانية"¹.

ويظهر التشابه الكبير أيضاً في مجال الأدب وفن التأليف، فالأسطورة الإغريقية المأخوذة بكليتها من أساطير منطقة الهلال الخصيب، هي "منبع الأدب الأوروبي"² أيضاً، حيث نجد في رواية (روميو وجولييت)* تشابهاً كبيراً مع قصة الحب البابلية الأولى والمعروفة بـ (بيرم وتسبين) والتي جرت أحداثها في بابل، ورواها الشاعر الروماني (أوفيد) و"اقتبسها الإغريق ورووها بين أساطيرهم عن بابل"³ تحت اسم (بيراموس وتسبي)، والتي تحكي "قصة تحوّل لون ثمار التوت من الأبيض إلى الأحمر"⁴

وفي كلا الروايتين ينشأ حب عظيم بين شاب وفتاه، في حين أن وجود مسائل عائلية منعت زواجهما، ليتفقا أخيراً على الهروب، وتنتهي كلا الروايتين بانتحار البطلين في صورة شبه متطابقة، ففي الرواية البابلية، ورغم أن بيرم وتسبين قد ترعرا سوية، فقد حالت تقاليد الأهل دون زواجهما، ليضطرا إلى تبادل همسات الحب عبر شق في جدار مشترك بين منزليهما، ومن خلاله تواعدا على اللقاء عند قبر (عشتار) الذي "تظلل شجرة توت بثمار بيضاء ناصعة كالثلج"⁵، وكما في رواية روميو وجولييت، تصل المحبوبة أولاً إلى مكان اللقاء، لكنها تلمح من بعيد لبوة قد افترست للتو طريدة ما، وعندما هربت تسبين منها أسقطت منديلها لتلتقطه اللبوة بفمها المدمى، وعند وصول العاشق بيرم، والذي لمح اللبوة من بعيد، ظن أنه المسؤول عن موت حبيبته بعدما وجد منديلها الملطخ بالدماء، فاستل سيفه وغرزه بين ضلوعه، وفي لحظة انتحاره تلطخت ثمار التوت البيضاء بلون دمائه الحمراء القانية، وعند وصول تسبين، وجدت حبيبها غارقاً في بركة من دمائه، فعلمت أنه انتحر لأجلها، كيف لا ومنديلها في يده، قبلته ثم قتلت نفسها بسيفه كيلا يفرقهما الموت، وظلت "شجرة التوت ذات الثمار الحمراء تذكراً أبدياً لهذا الحب العظيم"⁶ ويندم الأهل بعد ممات العاشقين في هذه الصورة المأساوية، تماماً كما في رواية (روميو وجولييت)، ففي حين وُضع

1 المرجع السابق ص359

2 عكاشة، ثروت، الفن والحياة، (2002)، الطبعة 1، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص27.

3 بشور، وديع، الميثولوجيا السورية، مرجع ذكر سابقاً، ص253

4 هملتون، ادبث، الميثولوجيا، مرجع ذكر سابقاً، ص151

5 المرجع السابق ص152

6 بشور، وديع، الميثولوجيا السورية، مرجع ذكر سابقاً، ص254

رماد بيرم وتسبين في زجاجة واحدة، بنت عائلتي روميو وجولييت تمثالين كبيرين من الذهب لهما لتخليدهما.

وانتقالاً إلى الحضارة الأوروبية الحديثة فإن "الملاحم الرئيسية والمعالم الأساسية فيها موروثة كلها من حضارة الإغريق الذين أتوا بها هؤلاء من الشرق"¹. فالأدب الأوروبي مثلاً منبعه الأسطورة الإغريقية المأخوذة بكليتها من أساطير منطقة الهلال الخصيب، وقد علم اليونان الغرب وربما العالم أجمع (النظام الديمقراطي)، بل إن المصطلحات الخاصة بالأنظمة السياسية (كالديمقراطية والديكتاتورية والديماغوجية..) كلها أسماء يونانية من مسميات وأنظمة يونانية، وعلم اليونان الغرب أيضاً الفكر الفلسفي إلى حد يمكن القول معه أن المذاهب الفلسفية من بعدهم إما أن تميل إلى أحد القطبين: مثالية أفلاطون وأرسطو، أو مادية هيراقليط وديمقريط، أو تتأرجح بين بين، وقد تم ذلك بعد انتقال تراث الإغريق إلى روما، حتى أصبح كل امتداد لسلطة الرومان السياسية هو انتشار للفكر الإغريقي، وأضحت الحضارة رومانية السياسة والتشريع، إغريقية الفكر والثقافة وحفظت الإسكندرية معالم تراث اليونان، ثم بلغ الامتزاج الفكري بين الشرق والغرب مداه في ظل الدولة الرومانية الشرقية، فصار التراث الإغريقي مشعل النهضة الأوروبية، فما من شيء في الفكر الأوروبي الحديث إلا ويمكن أن يتصل على نحو ما بتراث اليونان، فالحضارة الأوروبية ليست فحسب مدينة لحضارة الإغريق، بل إنها تنسب بالبنوة إليها.

فمن ناحية الدين، انتقلت معتقدات الهلال الخصيب إلى أوروبا فافرضة نفسها على الإغريق، فعلى الرغم من أن "الفلسفة الإغريقية تشكل أصلاً هاماً من أصول الفكر الغربي الحديث بمختلف تياراته"² فقد حملت فتوحات الإسكندر إلى الإغريق، ما لا طاقة لهم به، إذ فتحت هذه الفتوحات عليهم نافذة على الشرق هبت منها أعاصير عاتية عجزت الروح الإغريقية أن تواجهها، وحيث تصارعت فلسفة الإغريق مع دين الشرق، كانت الهزيمة للفلسفة، وظل هذا التردي من الفلسفة أمام الدين حتى بلغ مداه بظهور المسيحية، و"دان الغرب بديانة الشرق"³.

¹ الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص 357

² الشامي، علي، الفلسفة والإنسان مرجع ذكر سابقاً، ص 83

³ الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، مرجع ذكر سابقاً، ص 359

المراجع

- 1) أحمد علي، عبد اللطيف، التاريخ اليوناني (العصر الهللاذي)، (1976)، الجزء1، دار النهضة العربية، بيروت.
- 2) الأسعد، خالد، أوفه، فيين، هانس، يدبرغ ، زنوبيا ملكة تدمر والشرق، (2006)، جامعة أورهون، الدنمارك.
- 3) أ. وادل، الأصول السومرية للحضارة المصرية، (1999)، ترجمة: زهي رمضان، مراجعة: خزعل الماجدي، الأهلية للنشر، الطبعة 1، عمان، الغلاف.
- 4) أ.وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم، (1936)، ترجمة محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة، مصر.
- 5) بشور، وديع، سوريا وقصة الحضارة، (1989)، الجزء1، القسم1، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت.
- 6) بشور، وديع، الميثولوجيا السورية (أساطير آرام)، (1981)، الطبعة1، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت.
- 7) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، (1900)، الجزء1، الطبعة1، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت.
- 8) حجل، بدري، شواهد على نشوء الأمة السورية، (2003)، الطبعة1، منشورات دار فكر، بيروت.
- 9) الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، مابين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، (1999)، الطبعة1، بيسان للنشر والتوزيع، دمشق.
- 10) الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، (1999)، الطبعة1، دار علاء الدين، دمشق.
- 11) دولا بورت، ل، بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل وآشور، (1971)، تعريب مارون الخوري، دار الروائع الجديدة، بيروت.
- 12) رستم، سهيل، سوريون في التاريخ، (2013)، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت.
- 13) الرفاعي، أنور، تاريخ الحضارات والأساطير، (1999)، الجزء 2، الطبعة 5، منشورات جامعة دمشق.
- 14) السعدني، محمود ابراهيم، الحضارة الهيلينية، (1991)، الجزء1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- 15) السواح، فراس، جلجامش، ملحمة الرافدين الخالدة، (2002)، الطبعة2، دار علاء الدين للتوزيع والنشر، دمشق.
- 16) السواح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، (1986)، الطبعة 2، دار الغربال، دمشق.
- 17) السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة- سورية وبلاد الرافدين، (1990)، الطبعة9، دار المنارة، دمشق.

- 18) الشامي، علي، الفلسفة والإنسان، (جدلية العلاقة بين الفكر والوجود)، (1991)، الطبعة 1، دار الإنسانية، بيروت.
- 19) شيفر، كلود، رأس الشمرة، (1980)، البعثة الفرنسية المنقبة، ترجمة: فهمي الدالاتي، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.
- 20) الصالح، عبد الحميد، المدخل إلى تاريخ الفلسفة، (الفلسفة القديمة)، (1986)، جامعة دمشق، دمشق.
- 21) عثمان، أحمد، الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، (1984)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الكويت.
- 22) عكاشة، ثروت، الفن الإغريقي، (1982)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- 23) عكاشة، ثروت، الفن والحياة، (2002)، الطبعة 1، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- 24) فنطر، محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، (1999)، تونس، تونس.
- 25) ..، الفينيقيون وأميركا، فصول شغلت العالم، (1991)، ترجمة وتحقيق: د. عبد الله الحلوة، الطبعة 1، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت.
- 26) كريم، صموئيل نوح، السومريون- تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، (2012)، ترجمة: د. فيصل الوائلي، الطبعة 1، مكتبة الحضارات، بيروت.
- 27) المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، (1990)، مصطفى طلاس، ط 1، المجلد 1، مركز الدراسات العسكرية، دمشق.
- 28) هملتون، اديث، الميثولوجيا، (1990)، ترجمة: حنا عبود، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 29) هنري برستد، جيمس، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق الأدنى القديم، (1966)، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- 30) -Denniston, J.D. Art. Herodonis. The Oxford elassical dictionary, London 1949.P.421-423
- 31) -Luckenbill.D.D: Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926 (ARAB1:553)
- 32) -W. Culican : Baal on Ibiza Gem, in : Rivista di Studi Fenici 4 Roma, 1976. P.57